الاسبوع الرابع

النشاط الأدبي

في البلاد العربية « ١ »

للاستاذ عبد الحميد الرجيلي

تتفتح البلاد العربية اليوم عن اكمام وازهار عطرة في الشعر والكتابة والخطابة والروايات القصصية وما الى ذلك ويحار الانسان كيف يستطيع ان يجمع هذه الثمرات اليانعة في أطار صغير هو حديث الأسبوع ، فالأدب اليوم من اوسع ماتتنتج هذه البلاد في مجلاتها وجرائدها وكتبها ونشراتها ولا شك ان ذلك من علائم النهضة ومن علائم التحفز الى الثقافة والتطلع الى العلم والميل الى الاقتباس . وقد صدر في هذا الأسبوع جملة من المقالات والقصائد والكتب ، ومما صدر في مصر كتاب (ألحان الحان) للأستاذ عبد الرحمن صدقي ضمّنه جانباً غزيراً من جوانب أبي نواس ، ذلك هو جانب اللهو والأنس من مجون وخمر ومجالس طرب وندوات أحباب وخلان ومحافل هناء وصفاء ولذة . وبحث في ذلك بحثاً واسعاً كما بحث عن شخصية هذا الشاعر وسبب اشتهاره بهذا الجانب من اللهو والمجون ولا سيما انغماسه بالأشربة والخمور المعتقة فأجاد التعليل حيث قال : (فالرجل لطيف الروح . خفيف الظل . مشبوب الحيوية . متيقظ الشعور . شديد الأنس بما حوله . في نفسه سخاء . وفي طبعه مجاراة . مع التفات الى مواضع الفكاهة . وقصد الدعابة . وهذا المزاج يطالعنا في شعره الغنائي ... وليس شيء عند صاحبنا أجرى مع طبعه واصدق خبراً عن نفسه من حديث الخمر وما يتصل بها وينتظم في سلكها . . .) .ولو اضاف الأستاذ عوامل الظروف التي ساعدت أبا نواس على الظهور بهذا المظهر لما كان في تعليله شائبة نقص ولكملت الأسباب التي جعلت هذا الشاعر يجري ذكره في كل نادي خمر وطرب وإنس ويحفظ أشعاره رجال الترف والدعابة والمجون .

ولقد حوى كتاب الأستاذ جميع مايحف بهذا الباب وحوى كلّ وجد منه في عصر ابي نواس فبحث عن الأديرة واثرها في تفشي المجون في ذلك العصر ، وبحث عن مشارب القلايات ونوادي المجان وتنقل هؤلاء في ايام الأعياد والآحاد بين البساتين والحانات ، وتطرق لكل انواع المشروبات وآلات الشرب وهيئة الجلاس في مجالس الشرب وماهو نحو ذلك

وفي أغلب هذه المباحث التي اكثر منها المؤلف استشهد بشعر ابي نواس أو بشعر من يعاصره او يقارب عصره . وحلّى الكتاب ببعض الصور والمناظر اللطيفة التي تمثل لك اوضاع ذلك العصر ومباهج الحياة ، وختم الكتاب بخريطة واسعة عن العراق وما حوله مما كان أبو نواس يسرح فيه ويمرح بزمرة خلانه .

وانت اذا تعمقت في هذا الكتاب تراه على رغم كبره غير ناضج في ابحاثه فهي عرض عام باسلوب عابر ليس من الدقة بشيء ولم يتجاوز المؤلف ظواهر شعر ابي نواس الى ماوراء هذه الظواهر من دقة وعلل واسباب . بل لم يمعن المؤلف في تأريخ ذلك العصر ليعطينا البواعث الحقيقية التي دفعت امثال ابي نواس الى هذا النوع من الاستهتار والبذخ والانحلال . اما بحثه عن الأديرة فاغلبه مأخوذ من كتاب « الديارات » للأستاذ حبيب الزيات ، ومن معجم البلدان وليس فيه غير النقل المستعجل المقلوب العبارة .

وقارن بين الخيام وابي نواس ، وبين المعري وابي نواس فلم نر في مقارنته موفقية لأن سلوك الخيام وخياله ومعانيه وارآء المعري ونشاطه الفكري ورأيه في الحياة كل ذلك لايتفق وابا نواس مهما حاول المؤلف ان يقرب ويدلل .

وقد كان جملة من القدماء ممن كتب في أدب الخمور يختمون كتاباتهم بشيء من النصائح والمواعظ والأرشادات الى التوبة كما فعل ابن ابي داود الظاهري في كتاب « الزهرة » وكما فعل النواجي في « حلبة الكميت » وحاول مؤلفنا أن يقلدهم في ذلك فجاء بعنوان ضخم في آخر الكتاب اسماه «عظمة الاسلام» ولكنه لم يعمل اكثر من تمطيط عبارات انشائية تبين ان الخمر حرام . هذه عظمة الأسلام في نظر المؤلف ولم يزد على ذلك شيئاً .

---

(١) حال دون نشر هذا الحديث في وقته : العدد الخاص بالامام الحسين « ع »

ومما صدر رواية « حـــيرة طبيب » للكاتب الشهير « برنارد شو » وترجمة الدكتور مصطفى حسن يوسف ، وهي مسرحية ذات فصول خمسة كتبها « شو » عقب ترددة على الأطباء لعلاج المّ به واصابه في رأسه فاتاحت له هذه الفرصة الوقوف على دقائق احوال الأطباء وطرق علاجهم . وفي هذه الفصول التي سجلها « شو » ظهر فيها على عادته مظهر المتهكم اللاذع والساخر المبدع ، سخر بهولاء الذين يتعاطون مهنة الطبابه وهم من اخدع الناس واوسعهم في الدجل والتحيل وحمل على هؤلاء الدجالين حملة شعواء وكشف كيفية نشر جملة منهم الذعر والهلع من بعض الأمراض غير المخيفة ليدّر عليهم المرضى المغفلون وابل الدراهم ، وذكر كيف يكبّر الخوف بعض هؤلاء الأطباء من اعراض امراض لاخوف منها ولا خطر ، وكيف يتصل هؤلاء بالصيادلة لنشر الدعاية لبعض الأدوية التي لاقيمة لها ولا اثر منها . كل ذلك في سبيل طلب المـال والغنى ، وعقد « شو » مباحث في روايته عن الاطباء الذين يتوصلون بمهنتهم الى امور غراميـة وكيف يفسدون كثيراً من الزوجات على ازواجهن وكيف يقدمون المريضات ذات القد الرشيق والخد الأسيل على غيرهن ، وشرح جملة أحوال الأطباء الذين يتركون مواصلة الدرس ويعتمدون على شهرتهم الـكاذبة . كل ذلك باسـلوبه التهكمي الساخر المعروف . ثم ختم روايته بمأساة مؤلمة ختمهـا بشرح أحوال طبيب اتصل بزوجة مريض وسعى في جذب قلبها وجسدها وهو مهمل للمريض ساع في زيادة مرضه حتى اماته . موعد لزوجة المريض بأنه سيعقد زواجه منها بعد موت زوجهـا . وفي حالة خطرة للمريض وقبيل وفاته يحضر مراسل الجرائد وهو لايعرف عن هذه الحقائق والمأسات شيئاً . وليس همه الا اخذ خبر موت الرجل لينشره في جريدته .

وفي هذه الحالة يبدع « شو » في التهكم والسخريه من هؤلاء المخابرين الذين لايعرفون الكثير عما ينشرون . وفي الفصل الخامس والأخير من الرواية تنتهي هذه المأساة بترك الطبيب الزواج من هذه المرأة بعد ان خدعهـا على نفسها ، وبعد ان سعى في قتل زوجها بأسم الفن والطب والمهنة والخطأ غـير المقصود ، فيبدع « شو » في هذا الفصل ايما ابداع .

وبالجملة فالرواية من أرقى ما كتب « شو » في فصل الحوار وقد ربط بين الجمل ربطاً محكماً كما ربط الحوار بين الاشخاص ربطاً لاكلفة فيه ولا مبالغة ، وجعل العلاقة بين المقدمات والنتائج والحوادث متماسكة ومتلابسة ، وكأن الرواية حلقة واحدة مفرغة بقالب واقعي واحد .

اما اسلوب الترجمة فجيد وان لم يكن من سمو البلاغة بمكان بل لايخلو من الأغلاط اللغوية والنحوية . ومن التراكيب الضعيفة مما يفقد الروايه رونقها البديع الطري .

وصدر في بغداد كتاب [البادية] للسيد عبد الجبار الراوي بحث فيه بحثاً مسهباً شاملا احوال البادية ووضعها الجغرافي وطرقها وعادات اهلها واقسام العشائر واسمائها . وشرح أوضاعهم الأجتماعية وكيفية حل الخصومات بينهم وكذلك شرح الحالة الأدبية فوضح جملة من كلمات البدو الدارجة بينهم ، وذكر اسماء مجامع المياه واسماء مركباتهم واسماء ولد الناقة واسماء ولد الفرس ، وارجع بعض الالفاظ غير المعروفة في قاموس الفصحى الى اصولها ؛ كما بحث عن تاريخ جملة من المواقع الأثرية .

وقد بما بحث العرب عن المسالك في البادية ومجاهلها ومياهها وآثارها كابن خرداذبة ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، ولكن لم يكتب عن ذلك من المتأخرين في أيامنا باللغة العربية لذلك نعد عمل المؤلف الذي جاب كثيراً من اماكن البادية ايام كان مديراً للشرطة خدمة مهمة نافعة لأننا في مثل هذه الأيام من اشد مانكون حاجة الى التعرف الى البادية وشؤونها الأدبية والاجتماعية .

ومما صدر كتاب مهم في بابه ومن احسن الكتب في موضوعه ذلك هو كتاب « قلب اليمن » للمؤلف الأستاذ الفاضل المقدم محمد حسن يقع في « ٢٦٤ » صفحة وعـــدد فصوله ثمانية عشر فصلا كلها مهمة . بحث فيها ماضي اليمن وحاضرها منذ سد مأرب حتى عصر الامام الحالي . بحث عن جغرافية البلاد بحثاً واسعاً مفصلا مقروناً بالخرائط ، وبحث عن طبيعة إلا قليم وعن مرافق البـلاد وطرق مواصلاتها واحوال الزراعة والمـدارس والصحة ، وعن قيمة المرأة واثرها ، وفي الكتاب ابحاث ادبية بديعة ومنها بحثه عن

عن الشعر اليماني الحديث واستشهد بنماذج حديثه منه . وفي طي الكتاب كثير من شرح الكلمات الدارجة وتفسير مدلولها وبما ان المؤلف كان عضواً في البعثة العسكرية العراقية التي اوفدت الى اليمن من مطلع سنة « ١٩٤٠ » م حتى نهاية « ١٩٤٢ » فقد خصص في الكتاب ابحاثاً مهمة عن الحالة العسكرية والجيش وما الى ذلك من الشؤون الحربية والسياسية واعتمد المؤلف على مصادر عربية بلغت الثلاث والعشرين وعلى مصادر اجنبية وتقارير الخبراء واتصل باهل البلاد اتصالا وثيقاً حتى تزوج من هناك فجاء كتابه دائرة معارف علمية وادبيه عن احوال هذه البقعة السعيدة .

وقد كتب عن اليمن في عصرنا هذا جماعة ولكن احداً حتى الآن لم يكتب كتاباً شاملا مثل هذا الكتاب لذلك نعتبره خدمة كبرى ومفخرة لهذه البعثه العسكرية العراقية .

ووجهت اسئلة للاستاذ جعفر الخليلي صاحب جريدة الهاتف نشرها في آخر عدد من جريته تتعلق بادبنا القصصي وغير القصصي وكان جواب الأستاذ جواب اديب مجرب من تلك الاسئلة «اي الشعراء المعاصرين أجدر بأمارة الشعر» فاجاب كما يلي « اذا قلنا ان فنون الادب مثل الازهار ولكل زهرة لونها وعطرها وبهجتها فلا نعتقد حينئذ ان بامكان احد ان يعين اميراً للشعر يستطيع ان يبز كل شيء في موهبته واختصاصه اذ لكل شاعر مخلق خصائص لايمكن ان يجاريه فيها شاعر آخر ، وان امارة الشعر التي اعطيت للمرحوم احمد شوقي لم تكن على اساس امارة الشعر التي تعنى رجحان شوقي على غيره من الشعراء بشعره وانما هي امارة نعته بها داود بركات رئيس تحرير الاهرام لقرب شوقي من الخديوي عباس حلمي ذلك القرب الذي جوّز له ان يكون اميراً كما لو منح احد بالباشويه ولكن الناس قل من وقف على هذه الحقيقة فراحو يلتمسون بعد شوقي اميراً ... »

وخصصت مجلة الكتاب عددها الاخير في ذكرى حافظ وشوقي بمناسبة مرور خمسة عشر عاماً على وفاتها. وساهم في تحرير هذا العدد نخبة من افاضل الأدباء وتناول كل منهم ناحية من نواحي الشاعرين الخالدين ومنهم الاستاذ عادل غضبان تناول الناحية الموسيقية في شعرهما واستدل بادلة عديدة من شعرهما على قدرة الاختيار في وقع اللفظ ورنة جرسه الموسيقى على الآذان وان كان اللفظ منفرداً من الغرابة بمكان ألا ترى ماقي قول شوقي من الوقع في النفس :

شيعت احلامي بقلب باكي ولمت من طرف الملاح شباكي

ألا ترى هذا الترنيم الموسيقى المتساوق في التعبير عن الحسرة والاسى وقد خرج من اعماق قلب واهي الضلوع تحطمت حناياه بلوغه الذكريات وعجز المشيب وكل هذا تجده في لفظ شيعت وان في البيت نغمة اخرى ابداها شوقي في كلمة [لمت] حيث يتمثل لك فيها رجلا يلم الشباك ويضع شبكة فوق اخرى تاركاً وراءه ملذاته ومجالس انسه وشبابه.

وتناول الاستاذ الكبير خليل مطران احسن الذكريات عن حياة هذين الشاعرين الصديقين الاستاذ مما هو شاهده ومما قاله في حديثه « كان حافظ يلقي شعره بأفصح بيان ويضاعف قيمته بحسن انشاده، اما شوقي فلا يلقي شعره. ولكنها التقيا في امتناعهما عن القاء الخطب فلا شوقي ولا حافظ وقف يوماً موقفاً خطابياً وكان حافظ اذا اقيمت له الحفلات ووجب ان يشكر كنت انا اتولى القاء الخطبة .

كان حافظ سخياً في بيته وكان يحب الضيافات الواسعة التي تقدم فيها الألوان الفاخرة والذبائح . وشوقي كحافظ كان قوي الذاكرة الى حد أنه لما نظم قصيدته « النيل » قال المرحوم اسماعيل صبري [انه لم يفلت لفظ شريف من الفاظ الشعر في دواوين العرب من مكان إلا برز في هذه القصيدة . »

وتناول الدكتور مصطفى جواد شعر حافظ وشوقي بالنقد اللغوي على طريقته المعروفة .

ونحن نعرف من سياق مايكتب الدكتور في هذا الباب انه لايعبأ بالمجازات المولدة ولا بنظرية تضمين الافعال افعالا اخرى مقاربة لمعناها واجراء اللازم مجرى المتعدي أو بالعكس ، وقد اصبحت هذه الامور عند المتأخرين من المسلمات ولكن الدكتور يأبى الا ان يسير الكتاب والشعراء في طوق بدوي لامفر عنه ولا محيص ولو كان الدكتور في العصر الاموي لاصلح على طريقته كثيراً من كلمات جرير

من وحي القاموس

« ٥١ »

للاستاذ صادق المليكة

[ا . ف . ق]

الافق بالضم وبضمتين الناحية او ما ظهر من نواحي الفلك او مهب الجنوب والشمال والدبور والصبا .

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم قال تعالى «ولقد رآه بالافق المبين» قال المفسرون : رأى رسول الله « ص » جبرئيل في صورته الحقيقية التي جبل عليها في الافق المبين أي افق الشمس ، وقد ملأ الافق قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد [ص] وقد وردت الكلمة في في الشعر كثيراً قال السري الرفاء :

قم ياغلام فهاتها في كأسها ... كالجلنارة في جنى نسرين
اومارأيت هلال شهرك قد بدا ... في الافق مثل شفيرة السكين

وقال ابراهيم نفطويه :

ارقت للبرق يخفى ثم يأتلق ... يخفيه طوراً ويبديه لنا الافق

وقال المعري :

تمحي الحوادث بالحوراء رائعة ... بين الخمائل والجوزاء في الافق

وقال شاعر :

ولاحت لساريها الثريا كأنما ... على الافق الغربي قرط مسلسل

وقال ابو هلال العسكري :

كأن نهوض النجم والافق اخضر ... تبلج ثغر تحت خضرة شارب

وقال ايضاً :

شمس هوت وهلال الافق يتبعها ... كأنها سافر قدام منتقب

وقال آخر :

لم انس دجلة والهوى متضرم ... والبدر في افق السماء مغرب
فكأنها فيه رداء ازرق ... وكأنها فيها طراز مذهب

وقال التنوخي :

كأن اسوداد الافق بالليل ثاكل ... تسربل الاحداد ثوبا مسودا

وقال شاعر :

ولاح قوس الله من تلقائها ... في افق الشمس يروق من نظر

وقال السري الرفاء :

غيوم تمسك افق السماء ... وبرق يكتبها بالذهب

وقال ابن الرومي :

وقد نسجت أيدي الجنوب شمائلا ... على الافق ركناً والخواشي على الارض
كأذيال خود اقبلت في غلائل ... مصبغة والبعض اقصر من بعض

وجمع الافق آفاق قال الله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق ﴾ اي في النواحي ؛ قال ابو هلال العسكري :

والفرزدق اللذين اصبحا من مراجع اللغة العربية الفصحى وكأن الحضارة والزمن لانصيب لهما في التوسع والمجاز .

وفي العدد قصيدة عصماء للاستاذ علي الجارم في الشاعرين استهلها بهذه الغضبة الادبية على جاحدي فضله وفضل الأدب

ضل شعري وند عني بياني ... ماعلى الشاعرين لو آرشداني
ضاع في ظلمة المشيب انيناً ... وبكى في الصبا بياض الاماني
بين قوم مارن في سمعهم احـ ... ـلى نشيداً من اصفر رنان
صدفتهم عن خالد الفن اضغا ... ث وزهو من كاذب العيش فاني
انا في امة بها جدول الضرب ... طغى سيله على الأذهان
انرأوا صفحة بها بيت شعر ... تركوه يبكي على كل باني
سكت العنـــدليب في وحشة الدوح وغنت نواعق الغربان

ثم قالوا مجـد دون فاهلا ... بصناديد اخريات الزمان
لا تثوروا على تراث امرىء القيس وصونوا ديباجه الذبياني
واحفظوا اللفظ والأساليب والذوق وهاتوا ماشئتم من معاني

ومما جاء في العدد الأخير من مجلة الغرى رباعيات للحبوبي السيد محمود الشاعر المعروف ومنها هذه الرباعية التي يرد بها منتقدي بزته العربية ذات الكوفية والعقال .

شغلت اناس بزتي فاذا همـو ... كل تراه لبزة متحيرا
هذا يود بأن اكون معمماً ... ويود هذا ان اكون مسدرا
ويود هذا ان اظل ببزتي ... وظللت فيها ارتدي متحيرا
ماللورى شغلوا بما لم يجدهم ... ياليتهم شغلوا بما يجدي الورى

عبد الحميد الرجيلي